شقيق قال: اقتحمنا القادسية صدر النهار فتراجعنا وقد أتى الصلاة، وقد أصيب المؤذن فتشاحَّ[1] الناس في الأذان، حتى كادوا أن يجتلدوا[2] بالسيوف فأقرع سعد رضي الله عنه بينهم فخرج سهم رجل فأذَّن.

الاستخفاف ببهجة الدنيا وزينتها

قصة المغيرة بن شعبة مع ملك الفرس ذي الحاجبين في هذا الأمر

أخرج الحاكم (٣/ ٢٩٣) في حديث طويل عن مَعْقِل بن يَسَار في فتح أصبهان في إمارة النعمان بن مقرِّن رضي الله عنه، وفيه: فأتاهم النعمان وبيته وبيتهم نَهْر، فبعث إليهم المغيرة بن شعبة رضي الله عنه رسولاً وملكهم ذو الحاجبين فاستشار أصحابه فقال: ما ترون؟ أتمدُّ لهم في هيئة الحرب أو في هيئة المَلِك وبهجته؟ فجلس في هيئة الملك وبهجته على سريره ووضع التاج على رأسه وحوله بِساطان[3] عليهم ثياب الديباج والقِرَطة[4] والأسورة، فجاء المغيرة بن شعبة فأخذ بِضَبُعيه[5]، وبيده الرمح والترس والناس حوله سماطان على بساط له فجعل يطعنه برمحه فخرَقه لكي يتطيّروا، فقال له ذو الحاجبين: إنكم يا معشر العرب أصابكم جوع شديد وجَهد فخرجتم؛ فإن شئتم مِرناكم[6] ورجعتم إلى بلادكم، فتكلَّم المغيرة فحمد الله وأثنى عليه، وقال: إنا كنا معشر العرب نأكل الجيفة والميتة، وكان الناس يطؤونا ولا نطؤهم، فابتعث الله منّا رسولاً في شرف منا أوسَطَنا (حسباً)[7] وأصدقَنا حديثاً وإنه قد وعدنا أن ههنا ستفتح علينا، وقد وجدنا جميع ما وعدنا حقاً، وإني لأرى ههنا بَزّة وهيئة ما أرى مَن معي بذاهبين حتى يأخذوه... الحديث وأخرجه الطبراني عن معقل نحوه بطوله. قال الهيثمي (٦/ ٢١٧): رجاله رجال الصحيح غير علقمة بن عبد الله المزني وهو ثقة.

قصة ربعي وحذيفة والمغيرة مع رستم في هذا الأمر في القادسية

أخرج ابن جرير في تاريخه (٣/ ٣٣) من طريق سيف، عن محمد وطلحة وعمرو

---

(١) «تشاحَّ الناس»، أي أراد كلّ منهم أن يكون هو الغالب.

(٢) أي يتضاربوا بالسيوف. يقال جلدتُه بالسيف إذا ضربته به. «النهاية» (١/ ٢٨٥).

(٣) في الأصل «سماطين» والتصويب من «المجمع» عن الطبراني. و «السماطان»: مثنى سماط: أي الجماعة من الناس والنخل «النهاية» (٢/ ٤٠١).

(٤) القِرَطة: جمع قُرْط بضم القاف وهو نوع من حلي الأذن معروف. «النهاية» (٤/ ٤١).

(٥) «أخذ بضبعيه»: أي أخذ رجلان بذراعيه. وفي «المجمع» فأخذ المغيرة بن شعبة بضع بصره.

(٦) «مرناكم» أي أعطيناكم الميرة. وهي الطعام ونحوه مما يجلب للبيع. «النهاية» (٤/ ٣٧٩).

(٧) هذه الزيادة من «المجمع» (٦/ ٢١٧).

وزياد بإسنادهم، قالوا: أرسل سعد إلى المغيرة بن شعبة وذكر جماعة، فقال: إني مرسلكم إلى هؤلاء القوم فما عندكم؟ قالوا: جميعاً نتّبع ما تأمرنا به وننتهي إليه؛ فإذا جاء أمر لم يكن منك فيه شيء نظرنا أمثل ما ينبغي وأنفعه للناس، فكلمناهم به، فقال سعد: هذا فعل الحَزَمة[1] اذهبوا، فتهيأوا، فقال ربعي بن عامر: إنَّ الأعاجم لهم آراء وآداب ومتى نأتهم جميعاً يروا أنا قد احتفلنا بهم، فلا تزدهم على رجل، فمالؤوه[2] جميعاً على ذلك، فقال: فسرّحوني، فسرّحه فخرج ربعيٌ ليدخل على رستم عسكره فاحتبسه الذين على القنطرة وأُرسِل إلى رستم لمجيئه، فاستشار عظماء أهل فارس، فقال: ما ترون أنْباهي أم ننهاوَن؟ فأجمع ملؤهم على التهاون. فأظهروا الزُّبْرِج وبسطوا البُسُط والنَّمارق، ولم يتركوا شيئاً. ووضع لرستم سرير الذهب وألبس زينته من الأنماط[3] والوسائد المنسوجة بالذهب، وأقبل ربعي يسير على فرس له زَبّاء[4] قصيرة معه سيف له مَشُوف[5] وغمده لِفافةُ ثوبٍ خَلَق، ورمحه معلوب[6] بقِدّ[7] معه حجفة[8] من جلود البقر، على وجهها أديم أحمر مثل الرغيف، ومعه قوسه ونَبْله، فلما غشي الملكَ وانتهى إليه وإلى أدنى البُسُط، قيل له: انزل، فحملها على البساط، فلما استوت عليه نزل عنها وربطها بوسادتين فشقّهما ثم أدخل الحبل فيهما، فلم يستطيعوا أن ينهَوه، وإنما أرَوه التهاون وعرف ما أرادوا، فأراد استخراجهم، وعليه درع له كأنها أضاة[9]، ويلمقه[10] عباءة بعيره قد جابها[11] وتدرّعها[12] وشدّها على وسطه بسَلَب[13] وقد شدّ رأسه بمعجرته ـ وكان أكثر العرب شعرة ـ ومِعجَرته نِسْعة[14]

---

(١) «الحزمة» جمع حازم وهو ضبط الرجل أمره والحذر من فوائه «النهاية» (١/ ٣٧٩).

(٢) «فمالؤوه»: أي فوافقوه.

(٣) «الأنماط»: جمع نمط وهو ضرب من البسط.

(٤) «زبّاء»: من الزبب وهي كثرة الشعر. يعني أنها جمعت بين الشعر والوبر «النهاية» (٢/ ٢٩٣).

(٥) «مشوف»: مجلو.

(٦) «معلوب»: أي مشدود بالعلباء وهي عصبة صفراء في صفحة العنق.

(٧) «القدّ»: سير من جلد.

(٨) «حجفة»: الترس من جلد بلا خشب.

(٩) «أضاة»: أي غدير.

(١٠) اليلمق»: هو القباء.

(١١) اجبت القميص أي دخلت فيه وكل شيء قطع وسطه فهو مجوب النهاية (١/ ٣١٠).

(١٢) «تدرّعها»: أي لبسها.

(١٣) «السلب»: قشر شجر معروف باليمن يعمل منه الحبال. وقيل هو ليف المقل النهاية (٢/ ٣٨٧).

(١٤) «النسعة»: سير مضفور يجعل زماماً للبعير وغيره.

بعيره، ولرأسه أربع ضفائر قد قمن قياماً كأنهن قرون الوَعِلة[1]، فقالوا: ضَعْ سلاحك، فقال: إني لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم، أنتم دعوتموني فإن أبيتم أن آتيكم إلا كما أريد؛ وإلاّ رجعت، فأخبروا رستم فقال: ائذنوا له هل هو إلا رجل واحد، فأقبل يتوكأ على رمحه؛ وزُجُّه نَضِلٌ، يقارب الخَطْو ويزجُّ[2] النمارق والبُسُط، فما ترك لهم نَمرقة ولا بساطاً إلا أفسده وتركه منهتكاً مخرّقاً، فلما دنا من رستم تعلّق به الحرس وجلس على الأرض وركَزَ رمحَه بالبُسُط، فقالوا: ما حملك على هذا؟ قال: إنا لا نستحبُّ القعود على زينتكم هذه، فكلّمه فقال: ما جاء بكم؟ قال: اللّهُ ابتعثنا واللّهُ جاء بنا لنُخرجَ من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سَعَتها ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام. . . فذكر الحديث كما تقدم في دعوة الصحابة في عهد عمر إلى أن قال: فقال ـ رستم ـ: ويحكم لا تنظروا إلى الثياب ولكن انظروا إلى الرأي والكلام والسيرة، إنَّ العرب تستخفُّ باللباس والمأكل ويصونون الأحساب، ليسوا مثلكم في اللباس ولا يرون فيه ما ترَون، وأقبلوا إليه يتناولون سلاحه ويزهَدونه فيه، فقال لهم: هل لكم إلى أن تُرُوني فأريَكم؟ فأخرج سيفه من خِرقه كأنه شُعلة نار، فقال القوم: اغمِده فغمده، ثم رمى ترساً ورمَوا حَجَفته، فخُرق ترسُهم وسلمت حجفته فقال: يا أهل فارس! إنكم عظّمتم الطعام واللباس والشراب وإنا صغرناهنَّ، ثم رجع إلى أن ينظروا إلى الأجل.

فلما كان من الغد بعثوا: أن ابعث إلينا ذلك الرجل، فبعث إليهم سعدٌ حذيفةَ بن مِحصَن فأقبل في نحو من ذلك الزيّ حتى إذا كان على أدنى البساط، قيل له: انزل قال: ذلك لو جئتكم في حاجتي فقولوا لصلككم: أله الحاجة أم لي؟ فإن قال: لي، فقد كذب ورجعت وتركتُكُمْ، فإن قال: له، لم آتكم إلا على ما أحبّ، فقال: دَعُوه؛ فجاء حتى وقف عليه[3] ورستم على سريره فقال: انزل، قال: لا أفعل، فلما أبى سأله: ما بالك جئت ولم يجئ صاحبنا بالأمس؟ قال: إن أميرنا يحبُّ أن يعدل بيننا في الشدّة والرَّخاء فهذه نَوْبتي، قال: ما جاء بكم؟ قال: إن الله عزَّ وجلَّ مَنَّ علينا بدينه وأرانا آياته حتى عرفناه وكنا له منكرين، ثم أمرنا بدعاء الناس إلى واحدة من ثلاث فأيها أجابوا إليها قبلناها: الإسلام وننصرف عنكم، أو الجزاء ونمنعكم إن احتجتم إلى ذلك، أو المنابذة[4] فقال: أو

---

(١) «الوعلة»: الشاة الجبلية.
(٢) «يزجّ»: أي يطعن بالزجّ.
(٣) أي على البساط.
(٤) «المنابذة» المقاتلة.

الموادعة[1] إلى يوم ما؟ فقال: نعم، ثلاثاً من أمس. فلمّا لم يجد عنده إلا ذلك ردّه وأقبل على أصحابه فقال: ويحكم!! ألا ترون إلى ما أرى؟ جاءنا الأول بالأمس فغلبنا على أرضنا وحقّر ما نعظّم، وأقام فرسه على زِبْرِجنا وربطه به، فهو في يُمْنِ الطائر ذهب بأرضنا وما فيها إليهم مع فضل عقله!!. وجاءنا هذا اليوم فوقف علينا فهو في يُمن الطائر يقوم على أرضنا دوننا، حتى أغضبهم وأغضبوه. فلما كان من الغد أرسل: ابعثوا إلينا رجلاً، فبعثوا إليهم المغيرة بن شعبة.

ثم أخرج ابن جرير (٣/ ٣٦) من طريق سيف عن أبي عثمان النَّهدي قال: لمّا جاء المغيرة إلى القنطرة فعبَرها إلى أهل فارس حبسوه واستأذنوا رستم في إجازته، ولم يغيّروا شيئاً من شارتهم[2] تقوية لتهاونهم، فأقبل المغيرة بن شعبة والقوم في زيّهم عليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب، ويُسُطهم على غَلْوة[3] لا يصل إلى صاحبهم حتى يمشي عليهم غلْوة، وأقبل المغيرة وله أربع ضفائر يمشي حتى جلس معه على سريره ووسادته، فوثبوا عليه فترتروه[4] وأنزلوه ومغثوه[5]، فقال: كانت تَبْلغنا عنكم الأحلام ولا أرى قوماً أسفه منكم، إنّا معشر العرب سَواء لا يستعبد بعضنا بعضاً إلا أن يكون محارباً لصاحبه، فظننت أنّكم تُواسون قومكم كما نتواسَى، وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض، وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نصنعه، ولم آتِكم ولكن دعوتموني، اليوم علمت أن أمركم مضمحل وأنكم مغلوبون وأن مُلْكاً لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول، فقالت السُّفِلة[6]: صدق والله العربي، وقالت الدهاقين: والله لقد رمى بكلام لا يزال عيبدُنا ينتزعون إليه!! قاتل الله أوّلينا ما كان أحمقهم حين كانوا يصغّرون أمر هذه الأمة... فذكر الحديث في كلام رستم وما أجابه المغيرة.

عدم الالتفات إلى كثرة العدوّ وما عنده

قول ثابت بن أقرم لأبي هريرة يوم مؤتة في هذا الأمر

أخرج البيهقي من طريق الواقدي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: شهدتُ مؤتة،

---

(١) «الموادعة»: أي المصالحة.

(٢) «شارتهم»: لباسهم الحسن الجميل.

(٣) «غلوة»: أي قدرَ رمْيَة بسهم.

(٤) «فترتروه»: حرّكوه وزعزعوه.

(٥) «مغثوه»: أي ضربوه ضرباً ليس بالشديد.

(٦) «السُّفِلة»: عامّة الناس وسقاطهم.